

أسرار الصيام

تأليف

أ.د. موسى إسماعيل

كلية العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر

سلسلة الدروس الرضائية

أسرار الصيام

تأليف

أ.د. موسى إسماعيل

كلية العلوم الإسلامية
جامعة الجزائر

دار الأمانة ٢٠٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1442 هـ - 2021 م

رقم الإيداع: العدد 1 - 2021

ر.د.م.ك: 9 - 57 - 656 - 9931 - 978

دار الأوتق

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع جلولي العززي رقم 01

الزاوية بني تيامو البلدية

هاتف: 025 24 66 04 فاكس: 025 24 65 84

هاتف نقال: 0671. 61. 73. 13

e-mail: darelitkan@gmail.com

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على
أشرف المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فإنّي أحمد الله تعالى على توفيقه إيّانا،
وإعانتته لإخراج هذا الكتيب الثّاني من سلسلة الدروس
الرمضانية، وقد تناولت فيه فضائل الصيام، وذكرت
أسراره وحكمه.

ولا شكّ أنّ معرفة مقاصد الأحكام وعللها، ممّا
يقوي يقين المؤمن بدينه وثقته بشريعته، ويبعث على
الطمأنينة وانشراح الصدر، ويثير فيه كوامن الرغبة في
الطاعة وعمل الخير.

وأسأل الله تعالى أن يجعل أفعالنا أصدق من أقوالنا، وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح، وأن يهبنا التوفيق والسداد، وأن يجعلنا وإياكم من الهادين المهتدين، وأن يَمُنَّ علينا جميعاً بالقبول.

وأسأله تعالى أن يكرمنا بصيام رمضان وقيامه إيماناً واحتساباً، وأن يرزقنا فيه الجد والاجتهاد والنشاط، فهو بالفضل جدير، وعلى ما يشاءقدير.

وصلِّ اللهم على سيدنا وشفيعنا وحبينا وقرّة أعيننا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

✍️ الدكتور موسى إسماعيل.

عنوان الدرس

فضائل شهر رمضان

الهدف من الدرس: بيان فضل شهر رمضان ومنزلته.

تمهيد.

جعل الله عزّ وجلّ لبعض الأزمنة والأمكنة خاصيّة وفضيلة في مضاعفة الأعمال أكثر من غيرها، ومن هذه الأزمنة شهر رمضان الكريم، الذي خصه الله تعالى على سائر الشهور بالتشريف والتعظيم والتكريم، واختاره من بينهن لإنزال القرآن، وجعل فيه ليلة هي خير من ألف شهر، وفرض صيام أيامه وسن قيام لياليه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله «قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ: «قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ،

اَفْتَرَضَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، يُفْتَحُ فِيْهِ اَبْوَابُ الْجَنَّةِ،
وَيُعْلَقُ فِيْهِ اَبْوَابُ الْجَحِيْمِ، وَتُعَلُّ فِيْهِ الشَّيَاطِيْنُ، فِيْهِ لَيْلَةٌ
خَيْرٌ مِنْ اَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»⁽¹⁾.

نزول القرآن في رمضان.

فضل الله عزّ وجلّ شهر رمضان على سائر
الشهور، فأنزل فيه القرآن الكريم لهداية الناس
وإخراجهم من الظلمات إلى النور، حيث أنزل أولاً
دُفْعَةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في
السماء الدنيا، في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر
رمضان.

(1) صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (2/270 رقم: 8867)، وأحمد
(14/541 رقم: 8991)، النسائي في المجتبى (4/129 رقم:
2106)، وفي الكبرى (2/66 رقم: 2416)، وعبد بن حميد في
المنتخب (ص: 418 رقم: 1429)، وابن عبد البر في التمهيد
(4/129).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (1).

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (2).

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ (3).

ثم أنزل من السماء الدنيا على النبي ﷺ مفرقا حسب الحوادث والمناسبات، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ (4).

(1) سورة البقرة: 185.

(2) سورة الدخان: 3.

(3) سورة القدر: 1 - 3.

(4) سورة الإسراء: 106.

وكان أول ما نزل على النبي ﷺ وهو يتعبد في

غار حراء في شهر رمضان، قوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ (1).

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ

جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ نَزَلَ

بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً» (2).

وعن ابن عباس أيضا رضي الله عنه قال: «فُصِّلَ الْقُرْآنُ

مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا،

(1) سورة العلق: 1. 5.

(2) صحيح. أخرجه النسائي في الكبرى (6/5 رقم: 7970)، الحاكم

(242/2 رقم: 2879) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه

السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (147/1).

فَجَعَلَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَزِّلُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرْتَلُهُ
تَرْتِيلاً» (1).

فرمضان إذا اختص بفضيلتين أشار إليهما القرآن
الكريم فقال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مَبَشِّرًا
وَنَذِيرًا﴾ (105) (2).

الفضيلة الأولى: نزول القرآن الكريم لهداية
الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

-
- (1) صحيح. أخرجه النسائي في الكبرى (5/7 رقم: 7991)،
والحاكم (2/242 رقم: 2881) وصححه ووافقه الذهبي،
والطبراني في الكبير (12/32 رقم: 12381)؛ وصححه
الزركشي في البرهان في علوم القرآن (1/229).
(2) سورة الإسراء: 105.

رِضْوَانَهُ، سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(1) ﴿16﴾

والثانية: بعثة النبي ﷺ رحمة للعالمين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(2) ﴿107﴾

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

(3) ﴿33﴾

(1) سورة المائدة: 15 - 16.

(2) سورة الأنبياء: 107.

(3) سورة التوبة: 33.

وقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّجْمُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا ﴿45﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿46﴾ وَيَشِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿47﴾ ﴿1﴾ .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ» ﴿2﴾ .

فكان رمضان بحق خير الشهور وأفضلها،

وكانت أيامه خيرا وبركة، واستحق أن يختص بركن
من أركان الدين.

(1) سورة الأحزاب: 45 - 47.

(2) صحيح. أخرجه الدارمي (1/166 رقم: 15)، والحاكم (1/91)

رقم: 100) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الأوسط

(2/529 رقم: 2981)، والبيهقي في الشعب (2/529 رقم:

1339).

فيه ليلة هي خير من ألف شهر.

مَنْ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْرَمَ عَلَيْهِمْ
بَلِيلَةَ الْقَدْرِ بِأَنْ جَعَلَهَا خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، أَيْ تَعْدُلُ
ثَلَاثَ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

تَتَضَاعَفُ فِيهَا الْأَعْمَالُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَتُحَطُّ
فِيهَا الْخَطَايَا وَتُغْفَرُ السَّيِّئَاتُ، فَكَأَنَّ مِنْ أَحْيَاهَا وَعَمَلٍ
فِيهَا خَيْرًا رِزْقَ عَمْرٍَا طَوِيلًا.

يَقُولُ فخر الدين الرازي: «اعلم أن من أحياها
فكأنما عبد الله تعالى نيفا وثمانين سنة، ومن أحياها
كل سنة فكأنه رزق أعمارا كثيرة»⁽¹⁾.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽¹⁾ وَمَا أَدْرَاكَ

مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ⁽²⁾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ⁽³⁾ ﴿

(1) تفسير الفخر الرازي (238/32).

(2) سورة القدر: 1 - 3.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:
«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ»⁽¹⁾.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَمَضَانَ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ،
وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ
الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ»⁽²⁾.

نزول الكتب السماوية في رمضان.

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله
قال: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةِ

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (415/1 رقم: 1901)، ومسلم (523/1 رقم: 760).

(2) حسن. أخرجه أحمد (131/21 رقم: 13474)، وابن ماجه (526/1 رقم: 1644)، والطبراني في الأوسط (2/119 رقم: 1444)، وحسنه المنذري في الترغيب والترغيب (2/99).

مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتْ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضِيْنٍ مِنْ رَمَضَانَ،
وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ
الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ»⁽¹⁾.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ
خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ»، يحتمل أمرين:

أحدهما: نزوله جملة واحدة من اللوح
المحفوظ إلى السماء الدنيا.

والثاني: بداية نزوله من السماء الدنيا إلى
الأرض، كان في اليوم الرابع والعشرين من رمضان،
نزل عليه أوائل سورة اقرأ، أما النزول من اللوح

(1) صحيح. أخرجه أحمد (191/28 رقم: 16984)، والطبراني في
الكبير (75/22 رقم: 185)، والبيهقي (188/9 رقم: 18429)،
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (465/1): «وفيه عمران بن
داود القطان، ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو
أن يكون صالح الحديث، وبقيّة رجاله ثقات».

المحفوظ إلى السماء الدنيا فكان ليلة القدر كما تقدّم
بيانه.

وكان اليوم يوم الاثنين كما دلّ عليه حديث أبي
قتادة الأنصاري (رضي الله عنه) «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ
صَوْمِ الْإِثْنَيْنِ فَقَالَ: فِيهِ وُلِدْتُ، وَفِيهِ أُنزِلَ عَلَيَّ»⁽¹⁾.

في رمضان تكفر الذنوب والخطايا.

رمضان من نفحات الله التي يتعرض لها المؤمن
لتطهير نفسه من الذنوب، وهو مناسبة طيبة لإزالة آثار
الغفلة، والتوبة إلى الله تعالى من جميع المعاصي،
وفرصة حسنة لتجديد العهد مع الله عزّ وجلّ والإقبال
على الطاعة.

(1) أخرجه أحمد (244/37 رقم: 22549)، ومسلم (820/2 رقم:
1162)، وأبو داود (322/2 رقم: 2426)، والنسائي في الكبرى
(147/2 رقم: 2777)، والبيهقي (293/4 رقم: 8695).

فمن عرف حقَّ رمضان وأحسن استقباله بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح والإحسان في العبادة، كان له على الله عهد أن يغفر له وينقيه من الذنوب كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»⁽¹⁾.

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «احْضُرُوا الْمُبْرَ، فَحَضَرْنَا، فَلَمْ ارْتَقَى دَرَجَةً قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّلَاثَةَ قَالَ: آمِينَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (415/1 رقم: 1901)، ومسلم (523/1 رقم: 760).

رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ،
 قَالَ: إِنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَ لِي فَقَالَ: بَعْدَ مَنْ
 أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُعْفَرْ لَهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ
 الثَّانِيَةَ قَالَ: بَعْدَ مَنْ ذَكَرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّيْ عَلَيْكَ،
 فَقُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بَعْدَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ
 الْكَبِيرُ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ»⁽¹⁾.

ولله در القائل⁽²⁾:

تَرَحَّلَ شَهْرُ الصَّبْرِ وَالْهَفَاةِ وَاخْتَصَّ بِالْفُوزِ بِالْجَنَاتِ
 وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمَسْكِينُ مِثْلِي فَيَا وَيْحَهُ يَا عَظْمَ مَا
 مَنْ فَاتَهُ الزَّرْعُ فِي وَقْتِ تَرَاهُ يَحْضُدُ إِلَّا الْهَمَّ

(1) صحيح. أخرجه الحاكم (4/170 رقم: 7256) وصححه ووافقه
 الذهبي، والطبراني في الكبير (19/144 رقم: 315).

(2) انظر لطائف المعارف (ص: 211).

والذنوب التي تُغْفَرُ بصيام رمضان هي الصغائر،
لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مَدْخَلَ كَرِيمًا﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا
الْمَمِّ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (2).

ولما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه أنه
قال: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ،
وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ
الْكَبَائِرَ» (3).

(1) سورة النساء: 31.

(2) سورة النجم: 32.

(3) أخرجه أحمد (106/15) رقم: 9197، ومسلم (1/209) رقم:
233، والبيهقي (10/187) رقم: 20548.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:
«مَنْ جَاءَ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَقِيمُ الصَّلَاةَ،
وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ، فَإِنَّ
لَهُ الْجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ: مَا الْكِبَائِرُ؟ قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ
النَّفْسِ الْمُسْلِمَةِ، وَفِرَارٌ يَوْمَ الزَّحْفِ»⁽¹⁾.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ
مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا
كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً،
وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»⁽²⁾.

(1) صحيح. أخرجه أحمد (488/38 رقم: 23502)، وابن ماجه (88/7 رقم: 4009)، وابن حبان (39/8 رقم: 3247)، وصححه ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (412/12).

(2) أخرجه مسلم (206/1 رقم: 228).

وأما الكبائر فلا تُغْفَرُ إِلَّا بالتوبة النصوح، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽¹⁾.

قال الخازن: «قال العلماء: الصغائر من الذنوب تكفرها الأعمال الصالحات، مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر، وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها إلا التوبة النصوح، ولها ثلاث شرائط:

الشرط الأول: الإقلاع عن الذنب بالكلية.

الثاني: الندم على فعله.

(1) سورة التحريم: 8.

الثالث: العزم التام أن لا يعود إليه في المستقبل،
فإذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة
إن شاء الله تعالى»⁽¹⁾.

في رمضان تصفد الشياطين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ
لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ،
وَعُلِّقَتِ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ
أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ
الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ،
وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»⁽²⁾.

(1) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (507/2).

(2) صحيح. أخرجه الترمذي (66/3 رقم: 682)، وابن ماجه

(526/1 رقم: 1642)، وابن خزيمة (188/3 رقم: 1883)، وابن

حبان (221/8 رقم: 3435)، والحاكم (582/1 رقم: 1532)

وصححه، والبيهقي (303/4 رقم: 8284).

تصنف الشياطين أي تغل وتقيد بالسلاسل، وهل المراد بذلك الحقيقة أو المجاز؟ قولان.

قال ابن بطال: «وتأول العلماء في قوله: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ»، معنيين:

أحدهما: أنهم يسلسلون على الحقيقة، فيقل أذاهم ووسوستهم ولا يكون ذلك منهم كما هو في غير رمضان، وفتح أبواب الجنة على ظاهر الحديث.

والثاني: على المجاز، ويكون المعنى في فتح أبواب الجنة ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجب بها الجنة من الصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان أسهل والأعمال فيه أسرع إلى القبول.

وكذلك أبواب النار تغلق بما قطع عنهم من المعاصي وترك الأعمال المستوجب بها النار، ولقلة

ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة، يستنفذ منها ببركة الشهر أقواما، ويهب المسيء للمحسن، ويتجاوز عن السيئات، فهذا معنى الغلق⁽¹⁾.

وقد يقول البعض: كيف تسلسل الشياطين في رمضان ونحن نرى ونشاهد وقوع المعاصي وارتكاب المحرمات.

والجواب عن ذلك ما ذكره الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله حيث قال: «فإن قيل: فترى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرا، فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شر.

فالجواب عنه من أوجه:

أحدها: إنما تغل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه، وروعيت آدابه، أما ما لم يحافظ عليه فلا يغل عن فاعله الشيطان.

(1) شرح صحيح البخاري (20/4).

والثاني: أنا لو سلمنا أنها صفتت عن كل صائم، لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين ألا يقع شر، لأن لوقوع الشر أسباباً أخرى غير الشياطين، وهي النفوس الخبيثة، والعادات الركيكة، والشياطين الإنسية.

والثالث: أن يكون هذا الإخبار عن غالب الشياطين والمردة منهم، وأما من ليس من المردة فقد لا يصفد»⁽¹⁾.

في رمضان تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحْتُّ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»⁽²⁾.

(1) المفهم (136/3).

(2) متفق عليه. أخرجه البخاري (124/2 رقم: 3277)، ومسلم (758/2 رقم: 1079).

قال الباجي: «وقوله: «فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ» يحتمل أن يكون هذا اللفظ على ظاهره، فيكون ذلك علامة على بركة الشهر وما يرجى للعامل فيه من الخير.

ويحتمل أن يريد بفتح أبواب الجنة كثرة الثواب على صيام الشهر وقيامه، وأن العمل فيه يؤدي إلى الجنة، كما يقال عند ملاقة العدو: قد فتحت لكم أبواب الجنة، بمعنى أنه قد أمكنكم فعل تدخلونها به، وغلقت أبواب النار بمعنى كثرة الغفران والتجاوز عن الذنوب»⁽¹⁾.

وصدق من قال⁽²⁾:

(1) المتتقى شرح الموطأ (75/2).

(2) انظر لطائف المعارف (ص: 149).

إِذَا رَمَضَانَ أَتَى مُقْبِلًا فَأَقْبِلْ فَبِالْخَيْرِ يُسْتَقْبَلُ
لَعَلَّكَ تُحْطِئُهُ قَابِلًا وَتَأْتِي بِعُذْرٍ فَلَا يُقْبَلُ

نعم، قد لا تعيش إلى عام قابل، وربما لا تدرِك
رمضان القادم، فبادر ما دمت في فسحة من العمر قبل
أن يضيق عليك الأمر.

وقال عبد القاهر بن عبد الله بن محمد⁽¹⁾:

شَهْرُ الصِّيَامِ عَلَى الْأَنَامِ كَرَامَةٌ فِيهِ رِضَا الرَّحْمَنِ وَالْغُفْرَانُ
سَهْلٌ عَلَى مَنْ كَانَ فِيهِ عَابِدًا الْبُذْلُ وَالطَّاعَاتُ وَالْقُرْآنُ
فِيهِ يُفْتَحُ بَابُ جَنَّاتِ الرَّضَا وَيُصَفَّدُ الشَّيْطَانُ وَالنَّيْرَانُ
طُوبَى لِعَبْدٍ كَانَ فِيهِ مُخْلِصًا فَتَوَابُهُ الْإِحْسَانُ وَالرِّضْوَانُ

(1) انظر تاريخ إربل لابن المستوفي (1/111).

في رمضان تُعْتَقُ الرقاب من النار.

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عِتْقَاءَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ»⁽¹⁾.

و «عِتْقَاءَ» جمع عتيق، والمراد أنهم عتقاء من دخول نار جهنم.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه قال: «إِنَّ لِلَّهِ عِتْقَاءَ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ»⁽²⁾.

(1) صحيح. أخرجه ابن ماجة (1/526 رقم: 1643). قال البوصيري في مصباح الزجاجة (2/61): «هذا إسناد رجاله ثقات».

(2) صحيح. أخرجه أحمد (36/538 رقم: 22201)، والطبراني في الكبير (8/284 رقم: 8088 و 8089)، والبيهقي في الشعب (3/304 رقم: 7443).

قال المنذري في الترغيب والترهيب (2/103): «إسناده لا بأس به»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (3/364): «رجالهم موثقون».

وقوله: «عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ»، أي في كل ليلة من رمضان كما جاء مصرحاً به في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «وَلِلَّهِ عِتْقَاءٌ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»⁽¹⁾.

فهذه منقبة لرمضان، فاحرص أيها الصائم على صومك، وحافظ على صلاتك، واستعن على ذلك بكثرة الدعاء والاستغفار، لعلك تكون من العتقاء.

وصدق من قال ⁽²⁾:

يَا ذَا الَّذِي مَا كَفَاهُ الذَّنْبُ فِي رَجَبٍ

حَتَّى عَصَى رَبَّهُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ

(1) صحيح. أخرجه الترمذي (66/3 رقم: 682)، وابن ماجه (526/1) رقم: 1642، وابن خزيمة (188/3 رقم: 1883)، وابن حبان (221/8 رقم: 3435)، والحاكم (582/1 رقم: 1532).

(2) انظر لطائف المعارف (ص: 149).

لَقَدْ أَظْلَكَ شَهْرُ الصَّوْمِ بَعْدَهُمَا

فَلَا تُصَيِّرُهُ أَيْضًا شَهْرَ عِضْيَانَ

وَاتْلُ الْقُرْآنَ وَسَبِّحْ فِيهِ مُجْتَهِدًا

فَإِنَّهُ شَهْرُ تَسْبِيحٍ وَقُرْآنٍ

كَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِمَّنْ صَامَ فِي سَلْفِ

مِنْ بَيْنِ أَهْلِ وَجِيرَانٍ وَإِخْوَانِ

أَفَنَاهُمْ الْمَوْتُ وَاسْتَبَقَاكَ بَعْدَهُمْ

حَيًّا فَمَا أَقْرَبَ الْقَاصِي مِنْ الدَّانِي

وَمُعْجَبٌ بِشِيَابِ الْعِيدِ يَقْطَعُهَا

فَأُضْبِحَ بِهَا غَدًا أَثْوَابًا وَأَكْفَانَ

حَتَّى مَتَى يَغْمُرُ الْإِنْسَانَ مَسْكَنَهُ

مَصِيرُ مَسْكَنِهِ قَبْرٌ لِإِنْسَانٍ

في رمضان يُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ.

من بركة رمضان أن تُفْتَحَ فيه أبوابُ استجابة الدعاء، كما جاء ذلك عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ عِتْقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»⁽¹⁾.

لأن الصائم كما قال ابن رجب «في ليله ونهاره في عبادة، ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابر، وفي ليله طاعم شاكراً»⁽²⁾.

(1) صحيح. أخرجه أحمد (420/12 رقم: 7450)، والطبراني في المعجم الأوسط (202/2 رقم: 1727)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (216/10): «رجاله رجال الصحيح».

(2) لطائف المعارف (ص: 157).

ورحم الله عبدا انتهز فرصة رمضان بالدعاء
والاستغاثة والتضرع إلى الله، و«إِنَّ اللَّهَ حَيِّي كَرِيمٌ،
يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ يَدْعُو، ثُمَّ يَرُدُّهُمَا
صِفْرًا أَوْ خَائِبَتَيْنِ»⁽¹⁾.

وَأَحْسَنَ مِنْ قَالَ⁽²⁾:

يَا رَبِّ إِنَّ عَظَمَتَ ذُنُوبِي كَثْرَةٌ فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَكْبَرُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا الْمُحْسِنُ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

(1) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (78/2 رقم: 1488)، والترمذي (556/5 رقم: 3556) وقال: «حديث حسن غريب»، وابن ماجه (1271/2 رقم: 3865)، وقال ابن حجر في فتح الباري (272/8): «إسناده صحيح».

(2) انظر الثبات عند الممات لابن الجوزي (ص: 1657).

مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

دعاء.

اللهم ارزقنا في هذا الشهر توبة صادقة، وعبادة خالصة، وذرية طيبة، وضحبة سالحة.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهم خفف عنا الأوزار، وارزقنا عيشة الأبرار، واصرف عنا شر الأشرار، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، يا عزيز يا غفار، يا كريم يا ستار، ويا حلیم يا جبار.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عنوان الدرس

فضائل الصيام

الهدف من الدرس: بيان منزلة الصيام والترغيب فيه.

تمهيد.

قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ (1)

هي شهادة من الله عزّ وجلّ في الصيام أنه خير من الفطر، لأن فيه تزكية للنفوس وتطهيرا للقلوب وصحة للأبدان وإرضاء للرحمن، وجعله سببا للفوز بالجنان والنجاة من النيران.

(1) سورة البقرة: 184.

لا يعلم أجر الصوم إلا الله جلّ جلاله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:
«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ
فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ.

وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٌ أَحَدِكُمْ فَلَا
يَزُفْتُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي
صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفٌ
فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، لِلصَّائِمِ
فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ
فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

وفي رواية لمسلم قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال
رسول الله: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ
أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا

الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ
أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ
لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلِخُلُوفٍ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ
الْمِسْكِ»⁽¹⁾.

وقوله تعالى: «وَأَنَا أُجْزِي بِهِ» أي أنه سبحانه
وتعالى يتولى الجزاء بنفسه، وهو دال على عظم
الثواب وسعة العطاء.

قال الإمام النووي رحمته الله: «وقوله تعالى: «وَأَنَا
أُجْزِي بِهِ» بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه، لأن الكريم إذا
أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء
وسعة العطاء»⁽²⁾.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (415/1 رقم: 1904)، ومسلم
(807/2 رقم: 1151).

(2) شرح صحيح مسلم (29/8).

ونقل أبو العباس القرطبي رحمته الله عن بعض الشراح: «أن الأعمال قد كشفت لبني آدم مقادير ثوابها وتضعيفها، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير»⁽¹⁾.

وقد استدل بعضهم لذلك بقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽²⁾، لأن الصابرين هم الصائمون عند كثير من المفسرين.

وعن كعب الأحرار أنه قال: «يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ يُعْطَى بِحَرْثِهِ وَيُزَادُ غَيْرَ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالصَّيَامِ يُعْطُونَ أَجُورَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»⁽³⁾.

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (213/3).

(2) سورة الزمر: 10.

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/232 رقم: 2425).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ» ليس على سبيل الحصر، فقد يضاعف الله لمن يشاء من عباده إلى ما يشاء، كما جاء مصرحاً به في رواية أحمد وابن ماجه: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ»⁽¹⁾.

ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

(1) صحيح. رواه أحمد (445/15) رقم: (9713)، وابن ماجه (525/1)

رقم: (1638).

(2) سورة سبأ: 37.

(3) سورة البقرة: 261.

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»⁽¹⁾.

الصوم نجاة من النار.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»⁽²⁾.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (244/3 رقم: 6491)، ومسلم (118/1 رقم: 131).

(2) متفق عليه. أخرجه البخاري (27/2 رقم: 2840)، ومسلم (808/2 رقم: 1153).

واعلم أخي المسلم أن الصوم ينجيك من النار إذا أديت حقه، بأن تحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها وبآدابها وشروطها وخشوعها، وتؤدي ما أوجبه الله عليك من الفرائض، وتنتهي عما نهاك عنه من الخطايا والآثام.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَخَلَّلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا»⁽¹⁾.

وعن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: «جَاء رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ

(1) أخرجه أحمد (288/22 رقم: 14394)، ومسلم واللفظ له (205/1 رقم: 15)، وأبو يعلى (445/3 رقم: 1940).

اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ
اللَّهِ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَاةَ الْحَمْسَ، وَصُمْتُ الشَّهْرَ،
وَقُمْتُ رَمَضَانَ، وَآتَيْتُ الزَّكَاةَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مِنْ
الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»⁽¹⁾.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيْمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، مَنْ

(1) صحيح. أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (340/3 رقم: 2212)،
وابن حبان (223/8 رقم: 3438)، والبخاري في التاريخ الكبير
(308/6)، والطبراني في مسند الشاميين (138/4 رقم: 2939)،
والبيهقي في شعب الإيمان (229/5 رقم: 3345)، وابن عساكر
في تاريخ دمشق (337/46).
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (203/1): «أرجو إسناده أنه
إسناد حسن أو صحيح».

حَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، عَلَى وُضُوئِهِنَّ
وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيْتِهِنَّ، وَصَامَ رَمَضَانَ،
وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً
بِهَا نَفْسُهُ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا أَدَاءُ
الْأَمَانَةِ؟ قَالَ: الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ»⁽¹⁾.

وقيل لِلْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ،
وَإِنَّ الصِّيَامَ يُضْعِفُكَ، فَقَالَ: إِنِّي أَعُدُّهُ لِسَفَرٍ طَوِيلٍ»⁽²⁾.

(1) صحيح. أخرجه أبو داود (116/1 رقم: 429)، والطبراني في
الصغير (56/2 رقم: 772)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/265
رقم: 2495)، وأبو نعيم في الحلية (2/234)، والعقيلي في
الضعفاء (3/123).

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (1/148 رقم: 544)،
والهيثمي في مجمع الزوائد (1/204): «بإسناد جيد».
(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (7/67)، وابن عساكر
(24/323).

الصوم لا يعدله شيء من الطاعات.

أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه عزّ وجلّ من الطاعات الصيام، فهو من أعظم سبل الخير، ومن أحب العبادات إلى الله عزّ وجلّ، ولذا أضافه تبارك وتعالى إلى نفسه فقال: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

وعده رسول الله ﷺ من أبواب الخير المقربة إلى الله والمبعدة من النار، حيث قال ﷺ لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه): «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»⁽¹⁾.

(1) صحيح. أخرجه أحمد (344/36 رقم: 22016)، الترمذي (11/5 . 12 رقم: 2616) وصححه، والنسائي في سننه الكبرى (428/6 رقم: 11394)، وابن ماجه (1314/2 رقم: 3973)، والحاكم (86/2 و 447 رقم: 2408 و 3548) وصححه، وابن أبي شيبة (158/6 رقم: 30314).

ولما سأل أبو أمامة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُنْبِي عَلَى عَمَلٍ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «عَلَيْكَ
بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا عِذْلَ لَهُ»⁽¹⁾.

وفي رواية أخرى: «فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ»⁽²⁾.

وقوله صلى الله عليه وآله: «لَا مِثْلَ لَهُ»، يحتمل أمرين:

(1) صحيح. أخرجه النسائي (4/165 رقم: 2222 و 2223)، وابن خزيمة (3/194 رقم: 1893)، وابن حبان (211 - 213 رقم: 3426)، والحاكم (1/582 رقم: 1533) وصححه ووافقه الذهبي.

(2) صحيح. أخرجه أحمد (36/454 رقم: 22140)، والنسائي (4/165 رقم: 2220 و 2221)، وابن حبان (8/213 رقم: 3425)، وابن أبي شيبة (2/273 رقم: 8895)، وعبد الرزاق (4/308 - 309 رقم: 7899)، والطبراني في المعجم الكبير (8/91 رقم: 7463 و 7464). وصححه ابن حجر في فتح الباري (4/126).

الأول: لا مِثْلَ له في كسر الشهوة، وكبح جماح النفس الأمارة بالسوء، وقمع الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم.
والثاني: لا مِثْلَ له في كثرة الثواب والأجر الذي أعده الله للصائمين.

الصوم يأتي شفيعا يوم القيامة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنْعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ،
فَيُشَفِّعَانِ»⁽¹⁾.

(1) صحيح. أخرجه أحمد (199/11 رقم: 6626)، وابن المبارك في الزهد (114/1 رقم: 385)، والحاكم (74/1 رقم: 2036) وصححه، وقال الهيثمي في الزوائد (181/3): رجاله رجال الصحيح، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (50/2 رقم: 1451).

وقد ذكروا في معنى شفاعة الصيام والقرآن
ثلاثة أوجه⁽¹⁾:

الأول: حمله على الحقيقة، بأن يتمثلا بصورة
يراها الناس.

والثاني: أن يوكل ملكا يقول عنهما.

والثالث: أنه على سبيل المجاز والتمثيل.

قال الطيبي رحمه الله: «الشفاعة والقول من الصيام
والقرآن، إما أن يُؤوَّل، أو يجري على ما عليه النص
وهذا هو المنهج القويم والصراط المستقيم، فإن
العقول البشرية تتلاشى وتضمحل عن إدراك العوالم
الإلهية، ولا سبيل لنا إلا الإذعان له والإيمان به.

(1) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (2/430).

ومن تأوّل ذهب إلى أنه استعيرت الشفاعة والقول للصيام والقرآن لإطفاء غضب الله وإعطاء الكرامة ورفع الدرجات والزلفى عند الله»⁽¹⁾.

وشفاعة الصيام إنما تحصل لمن صامه إيماناً به وتعظيماً له وتصديقاً بوعده الله وتسليماً له ورغبة واحتساباً للثواب، وليس لمن صامه ثقلاً وفرط في وظائفه تكاسلاً وتساهلاً.

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «الصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها، أو لا يختص كشهوة فضول الكلام المحرم والنظر المحرم والسمع المحرم

(1) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (4/1366 رقم: 1963).

والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة ويقول: يا رب منعته شهواته فشفعني فيه، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته، فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرمه الله عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له: ضيعك الله كما ضيعتني»⁽¹⁾.

الصوم جنة.

جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ»⁽²⁾.

والجنة الوقاية، أي وقاية وستر لنفس الصائم في الدنيا والآخرة.

(1) لطائف المعارف (ص: 172).

(2) متفق عليه. أخرجه البخاري (1/415 رقم: 1904)، ومسلم واللفظ له (2/711 رقم: 1027).

قال القاضي عياض رحمته الله: «وقوله: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ»: أي سِتْرٌ ومانعٌ من الرّفث والآثام، أو مانعٌ من النار وساترٌ منها، أو مانعٌ من جميع ذلك»⁽¹⁾.

أمّا كونه جُنَّةً في الدنيا، فإنه يقي صاحبه من وساوس الشيطان ومكائده، ويحصنه من الوقوع في المعاصي والذنوب، ويدعوه إلى الإقبال على طاعة الله جلّ جلاله والتوبة إليه.

قال بُدَيْلُ بْنُ مَيْسَرَةَ العُقَيْلِيُّ التابعي رحمته الله: «الصَّيَامُ مَعْقِلُ العَابِدِينَ»⁽²⁾.

والمَعْقِلُ: الحِصْنُ، أي أن الصّوم حصنٌ منيعٌ، يلجأ إليه كل عابد ناسك، ليمسك نفسه عن الخوض

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم (4/110).

(2) انظر سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: 707).

في الباطل، ويمنعها من الوقوع في الحرام، ويحفظها من الشيطان.

وأما في الآخرة، فيقيه ويستره من غضب الله ودخول النار.

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ»⁽¹⁾.

ولا يكون الصيام جُنَّةً للمرء من النار إلا إذا صانه مما يفسده وينقص ثوابه، لما حَدَّثَ به أبو عبيدة

(1) صحيح. أخرجه أحمد (202/26 رقم: 16273)، والنسائي (167/4 رقم: 2230)، وابن ماجه (525/1 رقم: 1639)، وابن خزيمة (193/3 رقم: 1891)، وابن حبان (409/8 - 410 رقم: 3649)، وابن أبي شيبة (272/2 رقم: 8891)، والطبراني في الكبير (51/9 رقم: 8360).

ابن الجراح رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا»⁽¹⁾.

قال الدارمي رحم الله: «بِالْغَيْبَةِ»⁽²⁾.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلَا يَجْهَلُ يَوْمَئِذٍ، وَإِنْ أَمْرٌ جَهْلَ عَلَيْهِ فَلَا يَشْتُمُهُ وَلَا يَسْبُهُ، وَلَيُقْلَ إِنِّي صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»⁽³⁾.

(1) حسن. أخرجه أحمد (3/220 رقم: 1690)، والنسائي (4/167 رقم: 2233)، والدارمي (2/1081 رقم: 1773)، وابن خزيمة (3/194 رقم: 1892)، وأبو يعلى (2/180 - 181 رقم: 878)، وأبو داود الطيالسي (1/183 رقم: 224)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (2/94 رقم: 1642).

(2) انظر سنن الدارمي (2/15).

(3) حسن. أخرجه النسائي (4/167 - 168 رقم: 2234)، والطبراني في الأوسط (4/273 رقم: 4179)، ورجاله رجال الصحيح إلا خارجة بن عبد الله بن سليمان اختلف فيه، وحديثه حسن.

وصدق من قال (1):

الصَّوْمُ جُنَّةٌ أَقْوَامٍ مِنَ النَّارِ

وَالصَّوْمُ حِصْنٌ لِمَنْ يَخْشَى مِنَ النَّارِ

وَالصَّوْمُ سِتْرٌ لِأَهْلِ الْخَيْرِ كُلِّهِمْ

الْخَائِفِينَ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالْعَارِ

وَالشَّهْرُ شَهْرٌ إِلَهِ الْعَرْشِ مَنْ بِهِ

رَبُّ رَحِيمٍ لِثَقَلِ الْوِزْرِ سَتَّارٌ

فَصَامَ فِيهِ رِجَالٌ يَرْبُحُونَ بِهِ

ثَوَابُهُمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ غَفَّارٌ

(1) انظر بستان الواعظين ورياض السامعين (ص: 229).

فَأَضْبَحُوا فِي جَنَانِ الْخُلْدِ قَدْ نَزَلُوا

مِنْ بَيْنِ حُورٍ وَأَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ

اختصاص الصائمين بباب الريان من الجنة.

لما كان الصائم يمتنع من الطعام والشراب طول يومه، ويتحمل ألم الجوع والعطش امتثالا لأمر الله عز وجل وطمعا في قربه وطلبا لعفوه ومغفرته، قابله الله تعالى برضاه عنه، وجزاه بالجنة والري الدائم فيها لما ناله من العطش، وخصه بالدخول إليها من باب الريان.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»⁽¹⁾.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (414/1 رقم: 1896)، ومسلم (808/2 رقم: 1152).

وزاد النسائي وابن خزيمة في روايتهما: «مَنْ دَخَلَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ⁽²⁾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ».

(1) صحيح. أخرجه النسائي (4/168 رقم: 2237)، وابن خزيمة (3/199 رقم: 1902).

(2) الزوجان: مثني زوج وهو الصنف، وكل شيء قُرِنَ بصاحبه فهو زوج، ومعنى الحديث من أنفق شيئين في سبيل الله. وورد في رواية البخاري (2/207 رقم: 3666): «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». وورد الحديث من رواية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عند ابن حبان بسند صحيح (10/502 رقم: 4644): «قُلْتُ: وَمَا زَوْجَانِ؟ فَقَالَ: فَرَسَانِ مِنْ خَيْلِهِ، أَوْ بَعِيرَانِ مِنْ إِبِلِهِ، أَوْ عَبْدَانِ مِنْ رَقِيقِهِ».

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ.
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ.
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ
الصَّدَقَةِ.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ.
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَيَّ
أَحَدٌ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى
أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ
مِنْهُمْ»⁽¹⁾.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (414/1 رقم: 1897)، ومسلم (807/2 رقم: 1151).

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

اختص الله هذه الأمة بخصائص لم تعطهن أمة من الأمم قبلهم، إكراما للنبي ﷺ، منها أنه جعل خلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»⁽¹⁾.

والخلوف هو تغير رائحة الفم عند خلو المعدة من الطعام، ويكون غالبا بعد الزوال.

وقد تعددت أقوال الشراح في معنى ذلك، ولخصها الحافظ العراقي فقال: «اختلف في معنى

(1) متفق عليه. رواه البخاري (415/1 رقم: 1904)، ومسلم

(807/2 رقم: 1151).

كَوْنِ هَذَا الْخُلُوفِ أَطِيبٍ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، بَعْدَ الْإِتْفَاقِ
عَلَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْزَهُ عَنِ اسْتِطَابَةِ الرِّوَائِحِ
الطَّيِّبَةِ وَاسْتِقْدَارِ الرِّوَائِحِ الْخَبِيثَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ
الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لَهَا طَبَائِعُ تَمِيلُ إِلَى شَيْءٍ فَتَسْتَطِيبُهُ وَتَنْفِرُ
مِنْ شَيْءٍ فَتَتَقَدَّرُهُ، عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: قَالَ الْمَازِرِيُّ⁽¹⁾: هُوَ مَجَازٌ وَاسْتِعَارَةٌ؛
لأنه جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا، فاستعير
ذلك من الصوم لتقريبه من الله تعالى، انتهى.

فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ
اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ عِنْدَكُمْ، أَيُّ إِنَّهُ يُقَرَّبُ إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ
تَقْرِيبِ الْمَسْكِ إِلَيْكُمْ، وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ نَحْوَهُ⁽²⁾.

(1) انظر المعلم بفوائد مسلم (61/2).

(2) انظر الاستذكار (375/3).

الثاني: أن معناه أن الله تعالى يجزيه في الآخرة حتى تكون نكهته أطيب من ريح المسك، كما قال في المكلوم في سبيل الله «الرَّيْحُ رِيحُ مِسْكِ»⁽¹⁾، حكاه القاضي عياض⁽²⁾.

الثالث: أن المعنى أن صاحب الخُلوْفِ ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا، لا سيما بالإضافة إلى الخُلوْفِ، وهما ضِدَّانِ، حكاه القاضي عياض أيضا⁽³⁾.

(1) أشار إلى ما رواه البخاري (42/3 رقم: 5533)، ومسلم (1496/3 رقم: 1876) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكِ».

(2) انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم (112/4).

(3) انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم (112/4).

الرابع: أن المعنى أنه يعتد برائحة الخلوف،
وَتُدَخَّرُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْتَدُّ بِرِيحِ
المسك، وإن كانت عندنا نحن بخلافه، حكاة القاضي
أيضاً⁽¹⁾.

الخامس: أن المعنى أن الخُلُوفَ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنْ
المسك، حيث نَدَبَ إِلَيْهِ فِي الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ وَمَجَالِسِ
الحديث والذكر وسائر مجامع الخير، قاله الداودي
وابن العربي، وصاحب المفهم⁽²⁾، وبعض أصحابنا،
وقال النووي إنّه الأصح⁽³⁾.

(1) انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم (112/4).

(2) انظر القبس شرح موطأ مالك بن أنس (482/2)، والمفهم لما
أشكل من تلخيص كتاب مسلم (215/3).

(3) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (30/8).

السادس: قال صاحب المفهم⁽¹⁾: يحتمل أن يكون ذلك في حق الملائكة، يستطيبون ريح الخلوف أكثر مما يستطيبون ريح المسك»⁽²⁾.

واستدل بعضهم بهذا الحديث على أن خلوف فم الصائم افضل من دم الشهيد.

قال ابن جماعة: «وفيه أن خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَفْضَلُ مِنْ دَمِ الْجَرِيحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الشَّهِيدِ: «إِنَّ رِيحَهُ رِيحُ الْمِسْكِ»، وَقَالَ فِي خُلُوفِ الصَّائِمِ: «إِنَّهُ أَطْيَبُ مِنْهُ»، وَوَجْهَهُ أَنَّ الْجَرِيحَ يَظْهَرُ أَمْرُهُ لِلنَّاسِ، فَرَبَّمَا دَاخِلَهُ رِيَاءٌ، وَالصَّائِمَ لَا يَعْلَمُ بِصَوْمِهِ إِلَّا اللَّهُ، فَلَعَدَمَ دَخُولِ الرِّيَاءِ فِيهِ صَارَ أَرْفَعُ»⁽³⁾.

(1) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (216/3).

(2) طرح التثريب في شرح التقريب (95/4 - 96).

(3) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير (250/4).

ومهما قيل في معنى الخُلُوفِ، فإنّ جميع الأقوال متّفقة على أنه يدا على فضل الصوم، وعلو منزلته وعظم ثوابه.

قال بعضهم⁽¹⁾:

مَنْ نَالَهُ دَاءٌ دَوِّ بِذُنُوبِهِ

فَلَيَأْتِ فِي رَمَضَانَ بَابَ طَيْبِهِ

فَخُلُوفُ هَذَا الصَّوْمِ يَا قَوْمَ اعْلَمُوا

أَشْهَى مِنَ الْمِسْكِ السَّحِيقِ وَطَيْبِهِ

أَوْ لَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلَ مَلِيكِكُمْ

الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أَجْزِي بِهِ

(1) انظر التبصرة لابن الجوزي (72/2).

الصيام من المنجيات من فتنة القبر وعذابه .

إذا وُضِعَ الميت في قبره، وتَوَلَّى عنه المشيعون له من أهله وأصدقائه، وتركوه وحيدا فريدا ليس معه إلا عمله، فإن كان مؤمنا صالحا، كان عمله الصالح مؤنسا له، مُدافعا عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتْ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قَبْلِي مَدْخُلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ

وَالصَّلَاةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قَبِلِي
مَدْخُلًا»⁽¹⁾.

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ قَبْرَهُ، فَإِنْ كَانَ
مُؤْمِنًا، أَحَفَّ بِهِ عَمَلُهُ، الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ
الْمَلَكُ مِنْ نَحْوِ الصَّلَاةِ، فَتُرَدُّهُ، وَمِنْ نَحْوِ الصِّيَامِ،
فَيُرَدُّهُ»⁽²⁾.

-
- (1) حسن. أخرجه عبد الرزاق (567/3 رقم: 6703)، وابن حبان
(380/7 رقم: 3113)، والحاكم (535/1 رقم: 1403)،
والطبراني في الأوسط (105/3 رقم: 2630).
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (51/3): «رجال أحمد رجال
الصحيح»، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار في
الأسفار (ص: 1122): «إسناده صحيح».
- (2) صحيح. أخرجه أحمد (535/44 رقم: 26976)، والطبراني في
الكبير (105/24 رقم: 281). قال الهيثمي في مجمع الزوائد
(52/3): «إسناده حسن».

ولله درّ من قال⁽¹⁾:

أَسْلَمَنِي الْأَهْلُ بِبَطْنِ الثَّرَى

وَانْصَرَفُوا عَنِّي فَيَا وَحْشَتَا

وَعَادَرُونِي مُعْدِمًا يَأْسَا

مَا بِيَدِي الْيَوْمَ إِلَّا الْبُكََا

وَكُلُّ مَا كَانَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ

وَكَانَ مَا حَاذَرْتُهُ قَدْ أَتَى

وَذَاكُمْ الْمَجْمُوعُ وَالْمُقْتَنَى

قَدْ صَارَ فِي كَفِّي مِثْلَ الْهَبَا

(1) انظر العاقبة في ذكر الموت (ص: 103)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 307).

وَلَمْ أَجِدْ لِي مُؤَنِّسًا هَهُنَا
غَيْرَ فُجُورٍ كَانَ لِي أَوْ تُقَى
فَلَوْ تَرَانِي أَوْ تَرَى حَالَتِي
بَكَيْتَ لِي يَا صَاحِبَ مِمَّا تَرَى
وقال آخر (1):

الْمَوْتُ بَحْرٌ هَائِلٌ مَوْجُهُ
تَضِلُّ فِيهِ حِيلَةُ السَّابِحِ
يَا نَفْسُ إِنِّي قَائِلٌ فَاسْمَعِي
مَقَالَةً مِنْ مُشْفِقٍ نَاصِحِ

(1) انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: 307).

لَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ فِي قَبْرِهِ

غَيْرُ التَّقِي وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ

دعاء.

اللَّهُمَّ طهرنا في هذا الشهر من الذُّنُوبِ
والخطايا، واكْتُبْ لنا فِيهِ بَرَاءةً مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ،
وَتَرَكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحَبَّ الْمَسَاكِينَ.

اللَّهُمَّ عَامِلْنَا بِلُطْفِكَ، وَتَدَارَكْنَا بِعَفْوِكَ، وَأَذَقْنَا
حَلَاوَةَ مَنَاجَاتِكَ.

اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ، واقْطَعْ عَنَّا كُلَّ
مَا يَبْعَدُنَا مِنْ حَضْرَتِكَ، وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ
مَحَبَّتِكَ.

عنوان الدرس

حِكْمُ الصِّيَامِ وَفَوَائِدِهِ

الهدف من الدرس: الإعلام بفوائد الصيام الروحية
وآثاره الاجتماعية ومنافعه الصحية.

تمهيد.

إن شريعة الله تعالى مبناها على جلب المصالح
وتحقيق المنافع، ودفع المضار ودرء المفسد، كما
أفصح عن ذلك ابن القيم في قوله: «فإن الشريعة
مبناها وأساسها على الحِكمِّ ومصالح العباد في
المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها،
ومصالح كلها، وحكمة كلها»⁽¹⁾.

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين (11/3).

وهذا هو ما أراده عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين قال: «إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فَأَرْعَهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ»⁽¹⁾.

ومن جملة ما شرعه الله تعالى لعباده الصيام، ولا شك أنه عزّ وجلّ شرعه لمقاصد كثيرة وحكم جليلة وغايات نبيلة يضيق المقام عن استقصائها ويكفي أن نشير إلى بعضها، وهي ما يأتي:

الصيام يعين العبد على تقوى الله.

كشف الله سبحانه وتعالى عن حِكْمَةِ الصيام فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ

(1) رواه ابن المبارك في الزهد (ص: 12 رقم: 36)، والإمام أحمد في الزهد (ص: 130 رقم: 866)، وسعيد بن منصور في التفسير (1/211 رقم: 50)، وأبو نعيم في الحلية (1/130)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/408 رقم: 1886).

عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾⁽¹⁾، فيبين أن الصوم طريق لتقوى الله عز وجل.

والتقوى مصدر اتقى، واتقى معناه اتخذ وقاية⁽²⁾.

ومما جاء في معنى التقوى قول بعضهم: التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض.

وقيل: التقوى ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة.

وقيل: التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك.

(1) سورة البقرة: 183.

(2) انظر معنى التقوى في التفسير الكبير للرازي (2/268)، والجامع لأحكام القرآن (1/161)، وتفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (1/23).

وقيل: التقوى الاقتداء بالنبي ﷺ.

وهذه المعاني كلها صحيحة، يشهد لها آيات القرآن وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فتقوى الله تحصل بالإيمان به وتوحيده، وعبادته وحده لا شريك له، وأداء ما أوجب وأمر وترك ما نهى عنه وزجر.

والمسلم إذا صام حق الصيام وجد في نفسه طهرا وصفاء وفي قلبه إيمانا يورثه لذة العبادة وامتعة الطاعة وينبعث منه خفقان من شدة محبته لله وخوفه منه.

فإذا صار على هذا الوصف فقد اكتسب ملكة التقوى التي تحمله على أن يكون عبدا لله لا عبدا لشهواته، خاضعا له سبحانه مستجيبا لأمره مندفاعا للقرب منه.

يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله: «وللصوم تأثيرٌ عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويُعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى»⁽¹⁾.

ومن اتقى الله أكرمه الله، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقِيكُمْ﴾⁽²⁾.

وكان وليا لله، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد (28/2).

(2) سورة الحجرات: 13.

(3) سورة الجاثية: 19.

وأحبه الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (4) (1).

وهده الله ووفقه وغفر ذنبه ورفع درجته،
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ﴾ (29) (2).

ووسع له في رزقه وكفاه همه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا﴾ (2) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (3).
وصدق الشاعر حين قال (4):

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ

(1) سورة التوبة: 4.

(2) سورة الأنفال: 29.

(3) سورة الطلاق: 2 - 3.

(4) انظر أمالي أبي علي القالي (2/202).

وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتِقَى مَزِيدٌ

الصيام يظهر المسلم من الذنوب والخطايا .

جعل الله تعالى للعباد محطات متعددة ومناسبات مختلفة لغسل السيئات والتطهر من الذنوب، وهو ما أشار إليه الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»⁽¹⁾.

فالصلوات الخمس هي محطة المسلم اليومية، والجمعة محطته الأسبوعية، ورمضان محطته السنوية، وفي كل هذه المحطات يتوقف عندها ليجدد إيمانه

(1) أخرجه أحمد (14/333 رقم: 8715)، ومسلم (1/209 رقم:

233)، والبيهقي (10/187 رقم: 20548).

ويقوي صلته بالله ويحاسب نفسه ويستغفر ربه عما فرط فيه ويعلن توبته عما قصر فيه من العمل واقترب من معاصي وآثام.

ومن هنا استحق رمضان أن يسمى بشهر الغفران، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»⁽¹⁾.

والموفق من وفقه الله فيه للتوبة والإنابة وأعانه على طاعته واغتنامه في الإكثار من حسناته، والمحروم من حُرْم ذلك وانقضى ولم تُغْفَر ذنوبه.

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (415/1 رقم: 1901)، ومسلم (523/1 رقم: 760).

فَعَنَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ: قَالَ لِي جِبْرِيلُ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمْضَانٌ لَمْ يُعْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»⁽¹⁾.

قال الشاعر⁽²⁾:

أَتَى رَمْضَانُ مَزْرَعَةَ الْعِبَادِ لِتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنَ الْفَسَادِ

(1) صحيح. أخرجه أحمد (421/12 رقم: 7451)، والبخاري في الأدب المفرد (ص: 225 رقم: 646)، والترمذي (550/5 رقم: 3545) وحسنه، وابن حبان (189/3 رقم: 908)، والحاكم (734/1 رقم: 2016)، والبيهقي (500/4 رقم: 8504).

(2) انظر لطائف المعارف (ص: 148).

فَأَدِّ حُقُوقَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا وَزَادَكَ فَاتَّخِذْهُ لِلْمَعَادِ
فَمَنْ زَرَعَ الْحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا تَأَوَّهَ نَادِمًا يَوْمَ الْحَصَادِ

الصيام يعلم الصبر والتحمل.

الصوم يقوي في المسلم خلق الصبر، لأنه يجوع
ويعطش وبقربه أشهى الطعام وألذ الشراب ولا يفطر،
فيتعلم كيف يتحمل الصعاب ويكابد المشاق ولا تؤثر
فيه المآسي والمحن.

يتعلم الصبر على أداء الطاعات وعن ترك
معصية الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (1).

(1) سورة يوسف: 90.

ويتعلم الصبر على ما يصيبه من مصائب
ومشاق، كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِمَّنْ
عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ (17) (1).

ويتعلم الصبر في مواجهة الأعداء بكل جرأة
وثبات وعزم على النصر، كما قال الله عز وجل:
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّأُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ
مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (120) (2).

ويؤكد ذلك أن أهم الانتصارات والفتوحات
كانت في شهر رمضان، حيث هزم الله المشركين ببدر،

(1) سورة لقمان: 17.

(2) سورة الإنسان: 120.

وفتح للمسلمين مكة، ونصر المؤمنين في موقعة عين جالوت على التتار.

ولهذا سمي رسول الله عليه الصلاة والسلام رمضان بشهر الصبر، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «شَيْهْرُ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ»⁽¹⁾.

الصيام يقطع على الشيطان سبيل الغواية.

ففي الحديث عن صفية بنت حُيَيِّ رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ

(1) صحيح. أخرجه أحمد (22/13 رقم: 7577)، والنسائي (4/218 رقم: 2408)، وأبو داود الطيالسي (4/146 رقم: 2515)، والبيهقي (4/484 رقم: 8437)، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (3/72 رقم: 2204).

مَجْرَى الدَّمِ»⁽¹⁾، ومعنى ذلك أنه إذا جرى في عروق
بني آدم تسلط عليه بالوسوسة وزين له الشر والسوء
وأنساه ذكر ربه.

ومن جملة الأسباب الدافعة لشره والأدوية
المخلصة من وسوسته الصوم، لأن فيه تضيق لمسالك
الشیطان فيقل إغراؤه وتزيينه، كما دلّ على ذلك
حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «إِذَا
جَاءَ رَمَضَانَ فَتَحَّتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ،
وَصَفِدَتِ الشَّيَاطِينُ»⁽²⁾.

ولهذا أمر عليه الصلاة والسلام الشاب العاجز
عن الزواج بالصوم فقال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (443/1 رقم: 2035)، ومسلم
(1712/4 رقم: 2175).

(2) متفق عليه. أخرجه البخاري (414/1 رقم: 1899)، ومسلم
(758/2 رقم: 1079).

اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ
لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»⁽¹⁾،
لأن الصوم يُضَعِفُ الشهوة الداعية إلى المعصية
ويكسر حداثتها، فتذل النفس وتنقاد إلى ربها طائعة
منسرحة.

يقول ابن تيمية رحمته الله: «وإذا ضاقت - مجاربه -
انبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي بها تفتح أبواب
الجنة، وإلى ترك المنكرات التي بها تفتح أبواب النار،
وصفدت الشياطين فضعفت قوتهم وعملهم
بتصفيدهم فلم يستطيعوا أن يفعلوا في شهر رمضان ما
كانوا يفعلونه في غيره»⁽²⁾.

(1) متفق عليه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري
(556/2 رقم: 5065)، ومسلم (1018/2 رقم: 1400).
(2) مجموع الفتاوى (246/25).

الصيام ينمي الإحساس بمعاناة ذوي الفقر والحاجات.

الصوم يجعل الصائم يشعر بمعاناة الفقراء وألم المساكين وبؤس المعوزين الذين أرهقهم الجوع وأثقل كاهلهم شظف العيش ومرارة الحرمان، فيسعى إلى السؤال عن حالهم والعطف والشفقة عليهم والرحمة بهم وقضاء حوائجهم ويمد يده بالعون إليهم، ممثلاً في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْهٍ مَّسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۝١٠ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سَرَذَنَكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ ﴾ (1).

سئل أبو عبد الله بن الحسين عليه السلام عن الصوم لِمَ أوجبه الله تعالى؟ فقال: «لِيَجِدَ الْغَنِيُّ الْجُوعَ فَيَعُودَ بِالْفَضْلِ عَلَى الْفَقِيرِ» (2).

(1) سورة الإنسان: 8 - 11.

(2) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (2/472).

وقال حَسَّانُ بنُ أَحْمَدَ الْهَاشِمِيُّ: «سَأَلَ الْمَأْمُونُ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا: أَيُّ شَيْءٍ فَائِدَةُ الصَّوْمِ فِي الْحِكْمَةِ؟ فَقَالَ: عَلِمَ اللَّهُ مَا يَنَالُ الْفَقِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ فَأَذْخَلَ عَلَى الْغَنِيِّ الصَّوْمَ لِيَذُوقَ طَعْمَ الْجُوعِ ضَرْوَةً حَتَّى لَا يَنْسَى الْفَقِيرَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ»⁽¹⁾.

وقال ابن رجب رحمته الله في بيان حكمة الصوم: «ومنها أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بإقذاره له على ما منعه كثيرا من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من مُنِعَ من ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك»⁽²⁾.

(1) أخرجه ابن الجوزي في التبصرة (74/2).

(2) لطائف المعارف (ص: 155).

وفي الأمر بإطعام الجائع جاء الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أَطْعَمُوا الْجَائِعَ، وَعَوَّدُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِي»⁽¹⁾.

وفي فضل إطعام الصائم روى زيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ»⁽²⁾.

(1) أخرجه أحمد (278/32 رقم: 19517)، والبخاري (71/2 رقم: 3036)، والنسائي (354/4 رقم: 7492)، والدارمي (1602/3 رقم: 2508)، وابن حبان (116/8 رقم: 3324).

(2) صحيح. أخرجه أحمد (261/28 رقم: 17033)، والترمذي (171/3 رقم: 807) وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (256/2 رقم: 3330)، وابن ماجه (555/1 رقم: 1746)، والدارمي (1062/2 رقم: 1744)، وابن حبان (216/8 رقم: 3429).

ومن سعى في كفكفة دموع اليتامى
والمحرومين، وأدخل الفرحة والبهجة في بيوت
الأرامل والمعسرين، غشيته الرحمة، وغمرته الطمأنينة،
وفاضت عليه السكينة والسعادة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلم:
«السَّاعِي عَلَى الْأَزْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»⁽¹⁾.

وإطعام الطعام من الرحمة التي يحبها الله ويغدق
عليها الأجر والثوبة، فعن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم قال: «الرَّاحِمُونَ

(1) متفق عليه. أخرجه البخاري (3/3 رقم: 5353)، ومسلم
(4/2286 رقم: 2982).

يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ»⁽¹⁾.

ومن لم يبال بهموم الناس ولم يكثرث بهم ولم يسد جوعتهم لم يكن مؤمنا حقا، كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ»⁽²⁾.

(1) صحيح. أخرجه أحمد (33/11 رقم: 6494)، وأبو داود (285/4) رقم: 4941، والترمذي (323/4 رقم: 1924) قال: حسن صحيح، والحاكم (175/4 رقم: 7274) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (71/9 رقم 17905).

(2) صحيح. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (52/1 رقم: 112)، والحاكم (184/4 رقم 7307) وصححه، وأبو يعلى (92/5 رقم: 2699)، والطبراني (154/12 رقم: 12741)، والبيهقي (5/10 رقم: 19668)؛ قال المنذري في الترغيب والترهيب (243/3 رقم: 3871) والهيثمي في مجمع الزوائد (167/8): «رجاله ثقات».

وشأن المؤمنين التعاون على البر والتقوى،
والسعي في إسعاد الناس وإيصال النفع لهم، كما قال
تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالتَّعَدُّونَ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ (2).

وفي الحديث عن جابر (رضي عنه الله) قال: قال رسول
الله صلی الله علیه وسلم: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ» (3).

(1) سورة المائدة: 2.

(2) سورة الحج: 77.

(3) حسن. أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (2/223 رقم:
1234)، وأورد السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: 325)
شواهدة وقال: «وبعضها يؤكد بعضاً».

ولله در القائل (1):

بَادِرْ إِلَى الْخَيْرِ يَا ذَا اللَّبِّ مُعْتَمِئًا

وَلَا تَكُنْ مِنْ قَلِيلِ الْخَيْرِ مُحْتَشِمًا

وَأَشْكُرْ لِمَوْلَاكَ مَا أَوْلَاكَ مِنْ نِعَمٍ

فَالشُّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الْأَفْضَالَ وَالْكَرَمَا

وَأَرْحَمُ بِقَلْبِكَ خَلَقَ اللَّهُ وَارْعَهُمُوا

فَإِنَّمَا يَرْحَمُ الرَّحْمَنُ مَنْ رَحِمَا

وقال آخر (2):

(1) انظر بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (45/3).

(2) انظر موارد الظمان لدروس الزمان (484/3).

الرَّاحِمُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ يُرْحِمُهُمْ

مَنْ فِي السَّمَاءِ كَذَا عَنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ

وَأَرْحَمَ بِقَلْبِكَ خَلَقَ اللَّهُ وَأَرْعَهُمْ

بِهِ تَنَالُ الرِّضَا وَالْعَفْوُ عَنْ زَلَلِ

الصيام يحفظ الصحة ويبقي الجسم من الأمراض.

فقد قرر الأطباء في القديم والحديث أن للصوم تأثيرا عجيبا في علاج بعض الأمراض، وتخليص الجسد من العلل، وأنه يساعد على تنظيم الهضم، والتخلص من السموم والميكروبات، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة البقرة: 184.

الصيام يوحد صفوف المسلمين ويؤلف بين قلوبهم.

إذا دخل شهر رمضان تجلى للعيان قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

فَاعْبُدُونِ﴾ (92) (1)، بحيث يصبح المجتمع الإسلامي

جسدا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ويتسارع أهله إلى مد جسور التواصل، وإشاعة أجواء التكافل والتعاون، وبث روح المحبة والألفة.

إن صيام رمضان مدرسة تلهب مشاعر الوحدة والتآخي، وتطفئ جذوة التفرق والتشردم والخلاف.

ومن هذه المدرسة الربانية تتخرج في كل سنة قوافل المؤمنين والمؤمنات لتتابع سيرها بخطوات ثابتة متزنة وهمم عالية سامقة وقلوب مترابطة متحدة.

(1) سورة الأنبياء: 92.

ومنها يتعلم المسلمون معنى الوحدة، لأن
الشعور واحد والشعائر واحدة، فتزول الفوارق
والانقسامات وتختفي الأحقاد والحزانات.

الكل صائم، والجميع ينتظر دقات الغروب
للإفطار في وقت واحد، ويقفون في صفوف مترابطة
خلف إمام واحد لا يتخلفون عنه ولا يختلفون عليه،
متجهين إلى قبلة واحدة يعبدون ربا واحدا.

وهذا من أسرار العبادات في الإسلام، التي تربي
المجتمع على الأخوة والإيثار ونكران الذات، يشعر
كُلُّ واحد بأخيه، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويتألم
لألمه.

خاتمة.

من جميل ما أنشدوا قول بعضهم⁽¹⁾:

(1) انظر بستان الواعظين ورياض السامعين (ص: 214).

قُلْ لِأَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ

قَابِلُوا بِالْمَتَابِ شَهْرَ الصِّيَامِ

إِنَّهُ فِي الشُّهُورِ شَهْرٌ جَلِيلٌ

وَاجِبٌ حَقُّهُ وَكَيْدُ الزَّمَامِ

وَأَقْلُوا الْكَلَامَ فِيهِ نَهَارًا

وَاقْطَعُوا لَيْلَهُ بِطُولِ الْقِيَامِ

وَاطْلُبُوا الْعَفْوَ مِنْ إِلَهٍ عَظِيمٍ

لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ فِعْلَ الْأَنَامِ

كَمْ لَهُ فِيهِ مِنْ إِزَاحَةٍ ذَنْبٍ

وَخَطَايَا مِنَ الذُّنُوبِ عِظَامِ

كَمْ لَهُ فِيهِ مِنْ أَيَادٍ حَسَانٍ

عِنْدَ عَبْدٍ يَرَاهُ تَحْتَ الظَّلَامِ

كَمْ لَهُ فِيهِ مِنْ عَتِيقٍ شَهِيدٍ

أَمِنَ فِي الْقِيَامِ حِزِّي الْمَقَامِ

إِنْ دَعَاكَ مَذَلٌّ بِخُضُوعٍ

وَحُشُوعٍ وَدَمْعُهُ ذُو سِجَامِ

أَيِّنَ مَنْ يَحْذَرُ الْعَذَابَ وَيَخْشَى

أَنْ يُصَلِّيَ الْجَحِيمَ مَأْوَى اللَّئَامِ

أَيِّنَ مَنْ يَشْتَهِي التِّدَاذًا بِحُورٍ

فِي جَنَانِ الْخُلُودِ بَيْنَ الْخِيَامِ

الْتَمَسَ فِيهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَاتْرُكُ
الْتِمَاسًا لَهَا لِذِيذِ الْمَنَامِ
وَاجْتَهَدُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَاسْأَلْ
فَضْلَهُ عِنْدَ غَفْلَةِ النَّوَامِ
يَا لَهَا خَيْبَةً لِمَنْ خَابَ فِيهِ
عَنْ بُلُوغِ الْمُنَى بِدَارِ السَّلَامِ
يَا لَهَا حَسْرَةً لِمَنْ كَانَ فِيهِ
سَاتِرًا شَرَّهُ بِشُوبِ الظُّلَامِ
يَا إِلَهَ الْجَمِيعِ أَنْتَ بِحَالِي
عَالِمٌ فَاهْدِنِي سَبِيلَ الْقَوَامِ

وَأَمْتِي عَلَىٰ اعْتِقَادٍ جَمِيلٍ

وَاتَّبَاعٍ لِمِلَّةِ الْإِسْلَامِ

دعاء.

اللهم إنا نسألك أن ترفع ذكرنا، وأن تضع وزرنا،
وتصلح أمرنا، وتطهر قلوبنا، وتنور قبورنا.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا، وَلِلْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ.

اللهم تقبل منا صيامنا، واجعله شافعا لنا.

اللهم تقبل منا قيامنا، وصدقاتنا، وتلاواتنا، إنك
أنت السميع العليم.

اللهم تقبل منا دعواتنا، بمنك وكرمك يا أرحم
الراحمين.

فهرس الموضوعات

- 3 مقدمة
- 5 عنوان الدرر فضاءل شهر رمضان
- 5 تمهيد
- 6 نزول القرآن في رمضان
- 12 فيه ليلة هي خير من ألف شهر
- 13 نزول الكتب السماوية في رمضان
- 15 في رمضان تكفر الذنوب والخطايا
- 21 في رمضان تصفد الشياطين
- 24 في رمضان تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران
- 27 في رمضان تُعْتَقُ الرقاب من النار

- 30 في رمضان يُسْتَجَابُ الدعاء
- 32 دعاء
- 33 عنوان الدرس فضائل الصيام
- 33 تمهيد
- 34 لا يعلم أجر الصوم إلا الله جلّ جلاله
- 38 الصوم نجاة من النار
- 42 الصوم لا يعدله شيء من الطاعات
- 44 الصوم يأتي شفيعا يوم القيامة
- 47 الصوم جُنَّةٌ
- 52 اختصاص الصائمين بباب الريان من الجنة
- 55 خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
- 61 الصيام من المنجيات من فتنة القبر وعذابه
- 65 دعاء

- 66 عنوان الدرس حِكْمُ الصيام وفوائده
- 66 تمهيد
- 67 الصيام يعين العبد على تقوى الله
- 72 الصيام يطهر المسلم من الذنوب والخطايا
- 75 الصيام يعلم الصبر والتحمل
- 77 الصيام يقطع على الشيطان سبيل الغواية
- 80 الصيام ينمي الإحساس بمعاونة ذوي الفقر والحاجات
- 87 الصيام يحفظ الصحة ويقي الجسم من الأمراض ..
- 88 الصيام يوحد صفوف المسلمين ويؤلف بين قلوبهم
- 93 دعاء
- 94 فهرس الموضوعات

